﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾

[المؤمنون: 116]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى العبثَ في حسبان هؤلاء المُتكبِّرين؛ جاء تنزيه الباري نفسَه عن هذا العبث؛ فهو اللّهُ المَلِك الحقُّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَعَٰلَى﴾: أصل كلمة (تعالى) من العُلوّ، وهو السُّموّ والارتفاع[2] خلافُ السّفل[3]، ويُطلَق على الشّرف أيضًا، يُقال: رجلٌ عالي الكعب؛ أيْ: شريف، وتعالى: زاد عُلوًّا على عُلوٍّ، ويُذْكَر العُلوّ باعتبار ما يُعلى عليه[4]، فيَعْلو عن الضّعف والنّقص والحاجة والجهالة والعجز؛ أيْ: يَتنزّه ويَتخلّص من كلّ ذلك؛ فالتّعالي هو الكمال، ومعنى ﴿فَتَعَٰلَى﴾ في الآية: تَنزّه وتقدّس عن العبث، وعمّا وصفَه به الكافرون.

2) ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾: تدلُّ كلمة (المُلك) على قوّةٍ في شيءٍ وصحّةٍ، يُقال: أملَكَ عَجينَه؛ أيْ: قَوّى عَجْنَه وشَدَّه، ومَلَّكتُ الشّيءَ إذا قوَّيتَه، ومَلكَ الشَّيءَ إذا كانت فيه يدُه قويّة[5]، وملاكُ الأمرِ: مُعتَمَدُه، وليس له مَلاكٌ؛ أيْ: تماسُك، ويأتي المُلك بمعنى التّصرُّف والتَّحكُّم[6]، فلا يكون للآخَرين تبعةٌ فيه ولا تَصرّفٌ[7]، ومعنى ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ هنا: المُتحَكِّم المُتَصرِّف.

3) ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: أُخذت كلمةُ ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ من عَرَشَ؛ أيْ: تماسك وارتفع في بناء[8]، والعَرْشُ سريرُ المَلك وقِوام أمرِه، فإن زال حُكمُه فقد ثُلَّ عَرْشُه[9]، وكُنّيَ به عن العِزّ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 300، والبقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 196.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علا).
(3) الرّاغب، المُفردات: (علا).
(4) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (علو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).
(6) الرّاغب، المُفردات: (ملك).
(7) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ملك).
(8) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (عرش).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرش).

والسُّلْطان والمُلك[1]، ومعنى ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في الآية: كُرسيُّ اللّهِ ومُلْكُه وسلطانُهُ.

4) ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾: (كرم) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على الشَّرف في الذّات والشّرفِ في الخُلُق والفِعال[2]، منَ الإحسان إلى الآخرين بجليل الإحسان عطاءً أو صفحًا[3]، يقول سبحانه: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: 4]، ومعنى ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ في الآية: العظيم الشّرف.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعاظَمَ اللّهُ ﷻ وتقدّس عن كلّ ما لا يليق بجلاله وكماله؛ هو المُتحَكِّمُ تامُّ المُلكِ المُحِقُّ، هو مَن يستحِقّ العبادةَ وحْدَه، هو صاحبُ العَرش، هو الشّريف المحمود[4]، ترفَّع عن أن يَخْلُقَ الخَلْق عبثًا، وأن تخلوَ أفعالُه عن الحِكْمة[5].

تَرفُّعُ المَلِكِ الحَقّ عن العَبَث والسُّدَى

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في صدرِ الجملةِ:

تصدّرت الجملة ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ بالفاء؛ وهي فاءُ العطفِ، وتدلُّ على تفريع ما يأتي على ما مضى، فبعد أن ذَكَرَ تعالى اعتقادَ المُتكبِّرين أنّهم خُلِقوا عبثًا، وأنّهم لا يرجعون إلى خالقهم؛ فرَّع عليه استحالةَ ذلك، فكيف يليق بمَن هو المَلك على الإطلاق الحَقّ المُتفرِّدُ في الأُلوهيّة، ربُّ العرشِ الكريم أن يكون في فعله عبثٌ؟!

تفريعُ تمامِ المُلْك للّه ﷻ على اعتقاد العَبثِ في الخَلْق مع تَنزُّهِهِ عن ذلك

(1) الرّاغب، المُفردات: (عرش).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كرم).
(3) الرّاغب، المُفردات: (كرم).
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 69.
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 18/ 63.

إيثارُ الفعل ﴿فَتَعَٰلَى﴾ مادّةً وصيغةً:

ترفُّعٌ عن العَبثيّة والتّفلُّتِ من قبضته، وشَرفٌ في كمال حِكمته

اختارت الآية الفعلَ ﴿فَتَعَٰلَى﴾ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ لأغراض عدّة؛ فمادّةُ العُلوّ تعني الرّفعةَ والشّرفَ، وتكون الرّفعةُ عن كلّ نقص؛ والعبثُ نقصٌ، كما تكون الرّفعةُ بمعنى الشّرف والكمال، والشّريف: هو الكامل في حِكمته وتدبيره[1]، وكِلا المعنيَيْن يتناقضان مع العبث الذي يعتقده المُتكبِّرون في الخَلْق، أو الشّرود عن قبضته بعدم الجزاء[2]، وقد جاء الفعل (تعالى) في صيغة تفاعل، والتّفاعُل تكلُّف في الفعل؛ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أعظمُ من (علا اللّهُ)[3]، فهو ارتفاعٌ على ارتفاعٍ، وشرفٌ على شرفٍ، وبصيغة المضارع الدّالّة على التّجدُّد يظهر تمامُ حِكمته وجميلُ تدبيره في كلّ مخلوق من خَلْقه، وكِلا الجانبيْن في الفعل (تعالى) يزيد العبثيّةَ والتّفلّتَ بُعْدًا وإقصاءً.

غرضُ حذفِ مُتعلّق ﴿فَتَعَٰلَى﴾:

عمومُ تعالي الحَقّ عن كلّ نقيصة، وتَشَرُّفه بكلّ كمالٍ

حُذِف مُتعلّق الفعل ﴿فَتَعَٰلَى﴾ في الآية مع أنّ المتعلّق واضِحٌ من خلال سياق الآية؛ أي التّعالي عنِ العَبثيّة، وتَفَلُّت خَلْقِه من حُكْمِه ومساءلتِه[4]، ولعلّ الغرضَ من هذا الحَذفِ هو أن يتّسع المجالُ لكلِّ مُتعلِّقٍ ينبغي أن يتعالى عنه الحَقّ ﷻ، فتصير الآيةُ متعلّقةً بسياقها السّابق، وسياقها اللّاحِق، وهو ما يُشير إليه تَعدادُ صفاتِ الباري بعدَها[5].

سِرّ استخدامِ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ هنا وفي سورة طه [114]:

كمالُ الله ﷻ بكمال حِكمتِه وإنفاذِ وعيدِه

وردت هذه الجملةُ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ هنا في سورة المؤمنون، وأيضًا في سورة طه [114]، والمُلاحِظ لسياق الآيتين يجدهما

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5128.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10176.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 219.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 196.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 153.

متّفقتَين في إنفاذ الله لوعيده، وإحكامِه لجزائه يومَ الدّين، وهو ما يُشعِر بكمال حِكمة الله ﷻ، وتمامِ مُلكه وتَفَرُّده بالأُلوهيّة؛ فالحِكمة لإظهار تَمَيُّز المُتّقين منَ الفجّار، والله تعالى ما خلق السّموات والأرض وما بينهما ثمّ أفناهما إلّا لحِكْمة بالغةٍ، وإنفاذُ جزائِه هو دليلُ تمامِ مُلكه، وتمامُ مُلكه وكمالُ حِكمتِه دليلُ تَفَرُّدِه سبحانه، ويبقى ما ينفردُ به كلُّ سياقٍ من وجوه علائق هذه الجملة بأخواتها في سياقها الواحدِ.

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾:

التّفرُّد بكمالِ المُلْكِ

جاء لفظ ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ معرَّفا بـ (أل)؛ للدّلالة على كمال المُلك؛ فالله تعالى مُتفرّد بكمال المُلك وتمامه، ومن كان كذلك فلا يصحّ أن يحدث في مُلكه عبثٌ أو أن يبقى مَن في مُلكه دونَ محاسبة وتقويم.

فائدة الوصف بـ ﴿ٱلۡحَقُّۖ﴾ بعد ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾:

اللهُ المَلِكُ ثابتُ المُـلـك، ومُـلْـك غيره باطلٌ

جاء وصْفُ اللهِ تعالى بـ ﴿ٱلۡحَقُّۖ﴾ بعد وصفه بـ ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾، وقد عُرّفَ ﴿ٱلۡحَقُّۖ﴾ بـ (أل) الجنس؛ ليُفيدَ تمييزَه عن أيّ مَلك آخر[1]، فمُلك اللهِ ثابتٌ له، وأمّا مُلك غيرِه فباطل؛ أخذًا من مفهوم الصِّفة الذي يقتضي المخالفة؛ وذلك باعتبار كمالِ المُلك ودوامه[2]؛ وباعتبار أحقيّته سبحانه بالمُلك؛ فالمُلْك يحِقّ له مطلقًا، ولا يحقّ لأحد غيره[3]؛ وباعتبار أنّه مَلِك بحقّ، فلا يتطرّق إليه الباطلُ في شيءٍ من صفاته وأفعاله[4]، وإذا كان كذلك فأنّى يأتيه العبث؟ وأنّى ينفلت من قبضته أحدٌ؟

علّةُ فصل جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ عمّا قبلها:

الإلـهُ الـواحـدُ كـاملُ المُلك وما عداه عبيدُه

فُصِلت جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ عمّا قبلها؛ والعِلّة في ذلك أنّها

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 635.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 135.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 97.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 196.

كالدليل على أحقّيّة اللّهِ تعالى بتمام المُلك وتَفرّده، فلأنّه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو المَلِكُ الحَقّ[1]، ومَنْ كان مُتَفرّدًا بالأُلوهيّة فكلّ ما عداه عبيده[2]، فمضمونُ هذه الجملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يلزم منه مضمونُ الجملة السّابقة: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾، وهذه السّابقة يلزم منها هذه الجملةُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، غيرَ أنّ السّابقة كالنّتيجة للاحِقة، واللّاحقة كالعِلّة والمُقدّمة للأولى، فبينَهما كمالُ اتّصال؛ فلهذا غابتِ الواو.

فائدةُ وصفِه سبحانه بـ ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾:

كما وُصِف سبحانه بأنّه ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾، وُصِف بأنّه ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾، وفائدة هذا الوصف مزيدُ التّعيين والتّأكيد؛ لتفرّده ﷻ، فقد وصف نفسَه بصفةٍ لا يدّعيها غيرُه، إنّه ربّ العرش الكريم[3]، فكيف بما تحته من الموجودات[4]، فمَن مَلكَ أعظمَ المخلوقاتِ؛ فهو دليلٌ على عَظَمة قُدرته وتمام مُلكه[5]، ومَن مَلكَ العرشَ العظيم فمَن الذي يخرج عن ملكه وسلطانه؟.

مَنْ مَلَك العرش مَلكَ ما دونَه، ولم يَشْرُد عنه أحدٌ من خَلْقه

حكمةُ وصفِ العرش بالكرم:

وُصِفَ العرشُ بأنّه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، والحِكْمةُ من هذا الوصف هي أنّ الرّحمة تنزل منه[6]، فليس تعالي اللّهِ على عباده إذلالًا وإهانةً، ولكن لإعلائهم وإعطائهم من فضله، فصار الكرمُ أشرفَ غاياتِ المُلْك؛ فهو مَلْكٌ لصالح الخَلْق[7]، ومَن نزلت الرّحماتُ من عرشه اتّجهت حكمتُه وتعالَى عن العَبث.

كـرمُ العـرشِ شـرفٌ في المُلك وصلاحٌ للرّعيّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 135.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 153.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 197.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 153.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 135.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 206.
(7) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10177.

سِرُّ ذِكْر ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ هنا وفي سورتي التّوبة والنّمل:

خَسُنَ وصْفُ الكرمِ مع الحُكمِ والتّنزّهِ عن العَبث

من المُتشابه اللَّفظيّ في القرآن الكريم ما جاء من تكرار عبارة ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة المؤمنون مع وصف ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، وفي سورة التّوبة [129] والنّمل [26] مع وصف ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾، ولعلّ السِّرَّ في هذا الاختلافِ أنّ السّياق هنا هو سياقُ الحُكم بالعدل والتّنزُّه عن العَبَث، فحَسُنَ معه وصفُ ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، بخلاف سياق سورتي التّوبة والنّمل، الذي كان سياقَ قَهْر، فحَسُنَ معه وصفُ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّعالي والتّعاظم:

التّعالي الرّفعةُ عن كلّ نقصٍ

التّعالي رِفعةٌ عن كلّ نقص، والتّعاظم رِفعةٌ إلى كلِّ كمالٍ، فبينَ التّعالي والتّعاظمِ اشتراكٌ في المعنى مع وجود بعضِ الفروق؛ فالتّعالي والتّعاظُم مشتركان في الدّلالة على الرّفعة، ويفترق التّعالي في أنّه رِفعةُ غلبةٍ وتَمكُّنٍ وقَهْرٍ[2]، فهي رِفعةٌ باعتبار ما هو ناقصٌ، بينما التّعاظم رفعةٌ تدلّ على المَنزلة والفخامة والجلال والوقار والفخار[3]؛ فهي رفعةٌ باعتبار الكمال.

المَلِك والمالِك:

المَلِكُ للحيازة، والمالِكُ للتّحَكُّم

يشترك المَلِكُ والمالكُ في أصلٍ واحد، وهو المُلْك، بما تحملُه كلمةُ المُلْكِ من التّحكّم والحيازة والتّصرُّف[4]، ويختلفان في أنّ المَلِكَ من التّملُّك، فهو الحيازةُ للشّيء، في حين أنّ المالِكَ من المِلْك وهو التّحكُّم؛ فصار المالِكُ هو المُتَحَكِّمُ وإن لم يَملِك، والمَلِكُ مُتَمَلِّكٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 197.
(2) الرّاغب، المُفردات: (علا).
(3) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عظم).
(4) الرّاغب، المُفردات: (ملك).

وإن لم يَتَحكّم[1]، ولهذه اللّطيفة جاءت آيةُ الفاتحةِ بالقراءتيْن: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4][2]، و(ملك يوم الدّين)[3]؛ لتدلَّ على المعنييْن معًا.

الحَقّ والثّابت:

بينَ الحَقّ والثّابت اشتراكٌ وافتراقٌ؛ فالحَقّ ما وقع وثَبَتَ، فالحَقّ هو الثّابت، إلاّ أنّ الحَقّ يحمل - زيادةً على معنى الثّبات - معنى التّمكُّن والدّوام، بينما الثّابتُ ما استقرّ بعد حركةٍ واضطرابٍ[4].

الثّابت هو المُستقرّ دونَ اضطرابٍ، والحَقّ هو المُتمكِّن الدّائم

(1) السّامرّائيّ، لمساتٌ بيانيّةٌ، ص: 18.
(2) وهي قراءة عاصمٍ والكسائيِّ ويعقوب وخلف.
(3) وهي قراءة نافعٍ وابن كثير وأبي عمرٍو، وابن عامر وحمزة وأبي جعفر.
(4) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (حقق)، (ثبت).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»